The Damascene Historian, Hebat Allah ibn Al-Akfani (d. 524 AH / 1129 CE) and his book "Tassmeyat Umara Demashq"

Issam Mustafa Okleh, PhD

University of Sharjah- College of Arts

imokleh@sharjah.ac.ae

DOI: 10.31973/aj.v1i138.993

Abstract:

This study aims to shed light on the Damascene historian, Hebt Allah Ibn Al-Akfani (d. 524 AH / 1129 CE) and his book "Tassmeyat Umara Demashq", by showing the features of Ibn Al-Akfani's life and explaining the importance of his book, especially since he is one of the few historians who contemplated the Fatimid state during its rule in the Levant. , And the contemporary of the fall of his control over him, and the study tries to shed light on his family, his life, his culture, his inclinations and his influences in his historical writings, and studying the remains of his book "Tassmeyat Umara Demashq " missing and available we say about him in some of the subsequent sources on him, his method of classifying his book, and the resources that he adopted It is based on its classification, methodology, and importance for the history of Damascus, for Fatimid studies in general, and for the time range of its book.

The study concluded that Ibn Asaker relied on Ibn Al-Akfani's book in most of his translations on the Fatimid princes of Damascus, and Ibn Al-Akfani's approach to the history of the year (history over the years) in organizing his book, and his keen desire to provide the accurate history of his incidents, and the reasons for isolation and assumption of the princes, their ethnic origins and their surnames.

The study concluded that it relied on the sources of contemporary events from its elders and elders, in addition to the state records, and its observations of the events that were contemporary, and that his inclinations towards his news were moderate with a clear bias to the Abbasid caliphate in the face of the Fatimid caliphate, but his bias was moderate compared to other historians.

Keywords: Ibn al-Akfani, naming the princes of Damascus, Damascus, the Seljuk's, the Fatimid's.

المؤرخ الدمشقي هبة الله بن الأكفاني (ت ٥٢٤هـ/١١٢٩م) وكتابه "تسمية أمراء دمشق"

أ.د. عصام مصطفى عقله

جامعة الشارقة- كلية الآداب- قسم التاريخ

imokleh@sharjah.ac.ae

(مُلَخَّصُ البَحث)

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المؤرخ الدمشقي هبة الله بن الأكفاني (ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) وكتابه "تسمية أمراء دمشق"، وذلك بتجلية معالم حياة ابن الأكفاني، وبيان أهمية كتابه، ولا سيما أنه من المؤرخين القلائل الذين عاصروا الدولة الفاطمية في أثناء حكمها لبلاد الشام، وعاصر نهاية سيطرتها عليه، وتحاول الدراسة تسليط الضوء على أسرته، وحياته، وثقافته، وميوله واتجاهاته المؤثرة في كتاباته التاريخية، ودراسة بقايا كتابه "تسمية أمراء دمشق" المفقودة والمتوافرة والنقول عنه في بعض المصادر اللاحقة عليه، وأسلوبه في تصنيف كتابه، والموارد التي اعتمد عليها في تصنيفه، ومنهجه، وأهميته لتاريخ دمشق، وللدراسات الفاطمية بشكل عام، والنطاق الزمني لكتابه.

وخلصت الدراسة إلى اعتماد ابن عساكر على كتاب ابن الأكفاني في معظم تراجمه عن أمراء دمشق الفاطميين، واعتماد ابن الأكفاني منهج التاريخ الموضوعيمع التاريخ الحولي (التاريخ على السنين) داخل الموضوعات في تنظيم كتابه، وحرصه الشديد على إيراد التأريخ الدقيق لحوادثه، وإيراد أسباب العزل والتولية للأمراء، وأصولهم العرقية وألقابهم.

وخلصت الدراسة إلى اعتماده مصادر عاصرت الأحداث من شيوخه، وشيوخ شيوخه، فضلا عن سجلات الدولة، ومشاهداته للأحداث التي عاصرها، وأن ميوله تجاه أخباره كانت معتدلة مع انحياز واضح للخلافة العباسية في مواجهة الخلافة الفاطمية، لكن انحيازه كان معتدلاً مقارنة بغيره من المؤرخين.

الكلمات الدالة: ابن الأكفاني؛ تسمية أمراء دمشق؛ دمشق؛ السلاجقة؛ الفاطميون.

المقدمة

نشطت الحركة التاريخية في بلاد الشام عموماً، ومدينة دمشق خصوصاً، في القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية/ التاسع والعاشر والحادي عشر الميلادية، وبلغت قمة نضوجها ونشاطها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتركزت جهود الدمشقيين بشكل حلقات يكمل بعضها بعضاً بدءاً من أبي زرعة الدمشقي (ت ٢٨٠هـ/٨٩٥م)، وأبي الحسين محمد الرازي (ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م)، وابن زبر الدمشقي (ت

٣٧٩هـ/٩٨٩م)، وتمام بن محمد الرازي (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، وعبد الوهاب بن جعفر الميداني (ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م)، وعلي بن محمد الحِنّائي (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، وعبد المنعم ابن النحوي (ت بعد ٤١٦هـ/١٠٢٥م)، وعبد العزيز الكتاني (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م)، وانتهاءً بمؤرخنا ابن الأكفاني (ت ٥٢٤هـ/١١٢٩م) موضوع هذه الدراسة (مصطفى، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٢١٧- ٢٧٩؛ عقلة، ٢٠١٤م، ص ١-٢،Cahan(1940)p.40) والذي شكل ذروة هذه السلسلة من المؤرخين الدمشقيين، وآخرها قبل ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، وقد جمع في كتابه "تاريخ دمشق" كل نتاج تلك المدرسة.

وقد حاول هؤلاء المؤرخون المنحدرون من ثقافة دينية ،إذ كان معظمهم من علماء الحديث ورواته تدوين كل ما استطاعوا جمعه عن تاريخ دمشق سواء من ناحية الخطط والمساكن والمزارات، أو من ناحية تدوين التاريخ الثقافي لها، أو تدوين أخبار حكامها عبر التاريخ الإسلامي، وموظفيها من الإداريين والعسكريين، وأعضاء الجهاز القضائي، وتطورها العمراني، وأوضاعها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية (مصطفى، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٢١٨- ٢٢٠).وكان ابن الاكفاني أحد الحلقات المهمة من المدرسة الشامية التاريخية في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي.

اسمه ونسبه وولادته ونشأته:

ولد أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد بن هبة الله بن علي بن فارس الأنصاري الدمشقي، المعروف بابن الأكفاني في سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م (ابن نقطة، ١٩٨٤م، ج٢، ص ٢٩١؛ الذهبي، ١٩٩٦م، ج١٩، ص ٥٧٦) في أسرة مهتمة بالعلم، وإن ضَنّت المصادر علينا بأي معلومات عنها سوى نسبها، وأنها دمشقية، فضلا عن معلومات جيدة عن والده، لكنها لم تقدم أي معلومات عن أجداده، أو والدته، أو إخوانه، أو حتى زوجاته، أو أولاده، وربما كان سقوط ترجمته من تاريخ دمشق لابن عساكر سبباً في فقدان تلك المعلومات، حيث جاءت ترجمته في المفقود من كتاب تاريخ دمشق، وسقط معظم الترجمة من المختصر الذي اختصره ابن منظور (ت ٧٨١هـ/١١٣١م) من الكتاب،فضلا عن أن عدم مغادرة هبة الله خارج دمشق في رحلة علمية كما يفعل عادة العلماء وطلبة العلم ،جعل مصادر الأمصار الأخرى لا تذكره ،واقتصر الاعتناء به على المصادر الدمشقية فقط.

أما والده أحمد (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م)، فأوردت المصادر أنه كان من رواة الحديث النبوي، وسمع الحديث علي أبي الحسن علي بن موسى السمسار (ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م)، وأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن الطُّبَيْز (ت ٤٣١هـ/١٠٣٩م)، والمُسَدّد بن علي الأُمْلُوكي (ت ٤٣١هـ/١٠٣٩م)، وهم كبار علماء الحديث في دمشق آنذاك (الكتاني، ١٩٨٩م، ص١٧٨- ١٨٠؛ ابن الأكفاني، ١٩٨٩م، ص ٥٥؛ ابن عساكر، ١٩٩٥م،

ج٤٣، ص ٢٥٥)، كما كان من الشهود المُعَدّلين في دمشق، وهم الشهود العدول الذين يعينهم القضاة للشهادة على مجمل المعاملات التي يجريها السكان (السبكي ،١٩٨٦، ص٥٤،محاسنة، ٢٠٠١م، ص ١٥٦- ١٥٧)، وقد روى عنه الحديث ابنه هبة الله (ابن الأكفاني، ١٩٨٩م، ص ٥٥؛ ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥، ص ٤٦٣).

إنّ هذه المعلومات القليلة التي تقدمها المصادر عن والده تفيد بأنه كان من المهتمين بالعلم، وهو الأمر الذي انعكس على تربيته لابنه هبة الله، اذ حرص على إسماعه الحديث من الشيوخ في سنٍّ مبكرة، حيث كان سماع هبة الله الأول، وهو في سن التاسعة من عمره، وكان ذلك سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م (الذهبي، ١٩٩٦م، ج١٩، ص ٥٧٦؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ج١١، ص ٤٢٤)، وجاء سماعه في هذه السن جرياً على العادة في ذلك العصر بالمبادرة بإسماع الولدان الحديث النبوي، قال ابن كثير: "والعادة المطردة في أهل هذه الأعصار وما قبلها بمددٍ متطاولة أنَّ الصغير يُكتب له حضور إلى تمام خمس سنين من عمره، ثم بعد ذلك يسمى سماعاً" (ابن كثير، ١٩٩٦م، ج١، ص ٣٢٣)، وأثر والده في توجهه العلمي ، اذ اختص بعلم الحديث تأثراً بوالده.

وأثر والده فيه ايضًا في إطار عمله ،إذ عمل بعد بلوغه سن الرجولة أحد الشهود المعدلين في دمشق، وهنا يجب التنبيه أنّ والده عمل في الجهاز القضائي للدولة الفاطمية في دمشق، وكذلك عمل هبة الله أحد الشهود المعدلين، مما يعني أنهما اعترفا بصورة عملية بشرعية الخلافة الفاطمية، وشرعية حكمها لدمشق، وهو ما كان له أثر واضح في ميوله المعتدلة تجاه الخلافة الفاطمية على عكس كل المؤرخين الدمشقيين والعراقيين المعاصرين له، واللاحقين عليه بقليل حيث كان موقفهم معادياً جداً من الدولة الفاطمية.

وللأسف ما خلا هذه القضايا – وهي حاسمة في دلالاتها في موضوعنا – لم نعثر على معلومات ذات قيمة عن نشأة هبة الله بن الأكفاني، أو عن أسرته سوى ما انفرد بذكره سبط ابن الجوزي من أنه حفيد للمحدث الدمشقي علي بن الحسين بن أحمد التغلبي المعروف بابن صَصْرَى (ت ٤٦٧هـ/١٠٧٤م) من ناحية أمه (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ج٣٠، ص ١٢٢). وربما يكون عدم اهتمام أولاده بالعلم سبباً دافعاً للمصادر لعدم ذكرهم.

شيوخه وتلاميذه:

أوردت المصادر عدداً كبيراً من الشيوخ لهبة الله بن الأكفاني، كما ورد في تاريخ ابن عساكر مرويات كثيرة عن هبة الله تظهر الكم الكبير من الشيوخ الذين درس عليهم، لدرجة دفعت الحافظ السِّلفي (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م) للقول: "كتب ما لم يكتبه أحد من أبناء جنسه بالشام، وفي شيوخه كثرة" (السلفي، ١٩٩٣م، ص ٤١٠)، ولذلك فإن الدراسة ستعرض لأهم شيوخه لا جميعهم، ولا سيما المؤثرين فيه في كتابته التاريخية لأنها موضوع الدراسة.

تتلمذ هبة الله بن الأكفاني على والده أحمد، وعلى جده لأمه علي بن الحسين التغلبي المعروف بابن صَصْرَى، كما درس على أبي القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم الجِنّائي [١] (ت ٤٥٩هـ/١٠٦٧م) وهو أحد علماء الحديث الكبار في دمشق. وعلى محمد بن مكي بن عثمان الأزدي المصري [**٢] (ت ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م). كما تتلمذ على المؤرخ والمحدث البغدادي أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) صاحب تاريخ بغداد، وقال ابن نقطة "رأيت سماعه من أبي بكر الخطيب في بعض كتاب السنن لأبي داود" (ابن نقطة، ١٩٨٤م، ج٢، ص ٢٩١). ويظهر أن الخطيب البغدادي أثر في ابن الأكفاني في الحديث والتاريخ، ولعل الدليل على مدى تأثير الخطيب البغدادي في هبة الله ابن الأكفاني هو قيام ابن الأكفاني برواية كتاب "عوالي مالك" وكتاب "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، وكتاب "اقتضاء العلم العمل" وهي كتب صنفها الخطيب، كما روى هبة الله عن الخطيب كتاب "مغازي موسى بن عقبة" (السلفي، ١٩٩٣م، ص ٤١٠؛ ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٤، ص ٣٠٤، ٢٩٨، ج٤١، ص ٣٤٩؛ ابن عساكر، ٢٠٠٠م، ص ١٢٠٩؛ ابن نقطة، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٤٩؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ج٢، ص ٢٢٠؛ ابن حجر، ١٩٩٢م، مج١، ص ٢٨٩، ٣٧٦، ٥٦٦– ٥٦٧، مج٢، ص ١٩).

ولعل أبرز شيوخ هبة الله تأثيراً فيه شيخه عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٤م) إذ درس عليه الحديث، والتاريخ فيما يظهر، لذلك قام هبة الله برواية كتاب شيخه الكتاني ذيل مولد العلماء ووفياتهم، وذَيَّلَ على الذيل، والكتاني في محدث ومؤرخ من أبرز علماء دمشق في عهده، وناقل علوم أهم محدثيها ومؤرخيها، حيث هو تلميذ لأبي القاسم تمام بن محمد بن عبدالله البجلي الرازي الدمشقي[***٣] (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م)، وتمام هو ناقل علوم والده محمد بن عبد الله الرازي[****٤] (ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م) صاحب أبرز

---

[١] الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن عبدالله الجِنّائي، محدث دمشق الأبرز في عصره، ولد سنة ٣٧٨هـ/٩٨٦م، انتهت إليه علوم الدمشقيين في الحديث، وكان ثقة، توفي سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م. انظر عنه: ابن عساكر، ١٩٩٥، ج١٤، ص ٣٠٤- ٣٠٦.

[**] محمد بن مكي بن عثمان بن عبدالله الأزدي المصري، محدث مصري، قدم دمشق، وحدث بها، وسمع عليه الحديث أهل دمشق، ولد سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٣م، وكان محدثاً ثقة، وتوفي سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م. انظر عنه: ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٥٦، ص ٢٤.

[***] تمام بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن الجنيد الرازي الحافظ، أكبر محدثي دمشق في زمانه، ولد سنة ٣٣٠هـ/٩٤٥م، وجمع علم أهل دمشق والحديث والقرآن، وكان حافظاً ثقة ثبتاً، توفي سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م. انظر عنه: ابن عساكر، ١٩٩٥، ج١١، ص ٤٣- ٤٥.

[****] أبو الحسن محمد بن عبدالله بن جعفر الرازي المعروف بابن الرستاقي، مؤرخ ومحدث أصله من الري ثم سكن دمشق، واستقر بها، وكان من المصنفين الثقات، صنف كتباً كثيرة في تاريخ دمشق ورجالها، وتراتيبها الإدارية، توفي سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م. انظر عنه: ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٥٣، ص ٣٣٥- ٣٣٧.

مؤلفات في تاريخ دمشق، وتلميذ لأبي الحسين عبد الوهاب بن جعفر بن الميداني(*****) (ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م) المحدث والمؤرخ الدمشقي (الكتاني، ١٩٨٧م، ص ١١- ٣٤، مقدمة المحقق، ص ١٤٤، ١٦٠؛ ابن الأكفاني، ١٩٨٧م، ص ٣٩- ٤٠). والراجح أنّ اهتمامات الكتاني أثرت كثيراً في هبة الله ابن الأكفاني سواء من ناحية اهتمامه بالحديث، وتواريخ العلماء، أو من ناحية اهتمامه بالتأريخ لدمشق من جوانبها الأخرى.

وتعد رواية هبة الله للعديد من الكتب عن الكتاني دليل على تأثيره الكبير في تلميذه هبة الله، ومن تلك الكتب التي رواها ابن الأكفاني عن الكتاني كتاب "تاريخ أبي زرعة الدمشقي" وكتاب "تاريخ داريا للخولاني" وكتاب "تاريخ من نزل حمص لأبي القاسم عبد الصمد بن سعيد" وهي كلها تدل على توجيه تلميذه نحو دراسة التاريخ (ابن حجر، ١٩٩٢م، ج١، ص٦٣، ج٢، ص ٣٤٨، ٥٠٠).

ودرس أيضاً على الحسين بن محمد بن أحمد بن طَلَّاب القرشي (******) (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، وعبد الدائم بن الحسن بن عبيد الله الهلالي (*******) (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، وهم جميعاً من علماء الحديث، لذلك اقتصر تأثيرهم في هبة الله على علم الحديث (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٣٤، ص ١٠٤، ج٥٦، ص ٢٤؛ ابن نقطة، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٤٩- ١٥٠).

إن هذا الكم من الشيوخ الذين درس عليهم أدى إلى تعمق معارف هبة الله بن الأكفاني في علم الحديث، والجرح والتعديل، تاريخ دمشق من مختلف النواحي، وقد حاول دراسة الفقه الشافعي كونه ينتمي لهذا المذهب لكنه لم يتقنه (الذهبي، ١٩٩٦م، ج١٩، ص ٥٧٧؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ج١١، ص ٤٢٤).

ولكثرة شيوخ ابن الأكفاني، وكثرة مروياته الحديثية، كثر تلاميذه الذين نقلوا عنه علومه، ولهذا سنذكر أشهر تلاميذه، ولا سيما الذين نقلوا معارفه التاريخية، ومن ثم حفظوا لنا جزءاً مهماً من مروياته التاريخية التي لم تصلنا.

(*****) عبد الوهاب بن جعفر بن علي بن جعفر الميداني، أحد المحدثين والمؤرخين المهمين في عصره، وكان محدثاً ثقة، لا يبخل بإعارة كتبه لطلاب العلم، توفي سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م. انظر عنه: ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٣٧، ص ٣١١- ٣١٤.

(******) الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن طَلّاب القرشي، من كبار علماء الحديث الثقات في دمشق، ولد سنة ٣٧٩هـ/٩٨٧م، وكان خطيباً لمسجد دمشق، كثير القراءة للقرآن، توفي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م. انظر عنه: ابن عساكر، ١٩٩٥، ج١٤، ص ٢٩٧- ٣٠٠.

(*******) عبد الدائم بن الحسن بن عبيد الله بن عبدالله الهلالي القطان، من محدثي دمشق، أصله من حوران، وكان حسن السيرة، صحيح السماع، توفي سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م. انظر عنه: ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٣٤، ص ١٠٤- ١٠٥.

ومن التلاميذ البارزين له غيث بن علي الصوري[(*٨********)] (ت ٥٠٩هـ/١١١٥م)، وهو من أقران ابن الأكفاني، لكنه روى عنه الكثير من الأخبار التاريخية، والأحاديث النبوية، والفقيه المالكي أبي بكر بن العربي الأندلسي (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، والحافظ المحدث والمهتم بالتاريخ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلفي (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م) الذي روى عنه في كتابه "حال أبي أحمد العسكري"، وفي كتابه معجم السفر، وغيرهم الكثير (السلفي، ١٩٩٣م، ص ٤١٠؛ ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٤، ص ٣٠٤؛ ابن عساكر، ٢٠٠٠م، ص ١٢٠٩؛ ابن نقطة، ١٩٨٤م، ج٢، ص ٢٩١؛ ابن نقطة، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٤٩؛ الذهبي، ١٩٩٦م، ج١٩، ص ٥٧٧؛ ابن حجر، ١٩٩٢م، ج٢، ص ٤١٩).

ولعل أبرز تلاميذ ابن الأكفاني ، وأكثرهم تأثراً به هو حافظ الشام الأبرز، ومؤرخها الأكبر علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١٠٧٥م)، والذي نقل عنه معظم كتاباته التاريخية، وكان كتابه تاريخ دمشق الأساس الذي بنيت عليه دراسة كتاب ابن الأكفاني "تسمية أمراء دمشق"، وتكفي نظرة فاحصة لنقولات ابن عساكر الحديثية والتاريخية عن ابن الأكفاني ليتبين الأثر الكبير لابن الأكفاني في ابن عساكر كما روى عنه كتابه تتمة تاريخ تاريخ (انظر مثلاً: ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١، ص ١١٤، ١٤١، ١٦٧، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٤٩؛ ابن حجر، ١٩٩٢م، ج٢، ص ٣٤٩).

ويبقى التلميذ الأخير لهبة الله الذي أكثر من النقل عنه، وهو بركات بن إبراهيم بن طاهر الخُشُوعي (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م) الذي انفرد بالمسموعات الكثيرة من شيخه هبة الله بن الأكفاني، لأنه ولد سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، وبلغ عمراً كبيراً، فانفرد بالرواية عنه للكثير من مروياته، فقد روى عنه كتبه، ومروياته للكتب التي رواها (الذهبي، ١٩٩٦م، ج٢١، ص ٣٥٥؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ج١٢، ص ١١٣٥؛ ابن حجر، ١٩٩٢م، ج١، ص ٢٨٩، ٣٧٦، ٥٦٦– ٥٦٧، ج٢، ص١٩، ٣٤٨، ٥٠٠، ٥٥٤).

مهنته ومكانته ووفاته:

عمل هبة الله تأثراً بأبيه في وظيفة الشاهد المُعدّل لدى قضاة دمشق، وهي وظيفة أساسية في النظام القضائي الإسلامي، اذ يقوم صاحبها بعد قبول شهادته وتسجيلها لدى القضاة بالشهادة على المعاملات التي يجريها الأهالي على مختلف أنواعها؛ الشخصية أو التجارية (السبكي ،١٩٨٦، ص ٥٤، محاسنة، ٢٠٠١م، ص ١٥٦– ١٥٧)، ويشترط في صاحبها العلم، والصدق، والأمانة، وحسن السيرة (السبكي، ١٩٨٦، ص٥٤، محاسنة، ٢٠٠١م، ص ١٥٧).

(********) غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد الصوري الأرمنازي الكاتب، محدث وخطيب من أهالي مدينة صور، وكتب الكثير من الحديث، وجمع تاريخاً لصور لم يتمه، وكان ثقة ثبتاً، توفي سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م.انظر عنه :ابن عساكر ،١٩٩٥،ج٤٨،ص١٢٤-١٢٦

ويبدو أن هبة الله أصبح أكبر الشهود المعدلين في دمشق، لذلك أصبح من مهامه تزكية الأشخاص المتقدمين لتسجيلهم شهودًا، وتعيينهم لدى القضاة ضمن الشهود العدول، ولهذا السبب لقب "الأمين" و"جمال الأمناء" (ابن القلانسي، ١٩٨٣م، ص ٣٦٠؛ ابن نقطة، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٤٩).

وعمل هبة الله أيضاً ناظراً للوقف في دمشق، وهو القائم على عمارة الوقف وتنميته، والإشراف على وارده وصادره، وتطبيق شروط الواقف (السبكي،١٩٨٦، ص٥٥)، وإن لم تحدد المصادر أي وقف كان ناظراً عليه، مثلما لم تحدد بداية عمله شاهداً في دمشق، وإن كنت أرجح أنه عمل بعد وفاة أبيه (٤٧١هـ/١٠٧٨م)، لأن الشاهد لا بد أن يتجاوز الثلاثين من عمره (الذهبي، ١٩٩٦م، ج١٩، ص ٥٧٦).

وقد تبوأ هبة الله بن الأكفاني مكانة سامقة في المجتمع الدمشقي علماً وعملاً، اذ تصفه المصادر بالعالم، والثقة في نقل الحديث والأخبار، وأنه كان ثبتاً، متيقظاً، معنياً بالحديث وجمعه، ووصفته أيضاً بأنه كان عسراً في التحديث، أي لا يحدث الطلاب بمعارفه بسهولة، كما وصفته في عمله بأنه كان موصوفاً بالكفاية والأمانة، معروفاً بالصيانة والديانة، ولم يقم من الشهود بعده مثله في الذكاء والأمانة والغناء (ابن القلانسي، ١٩٨٣م، ص ٣٦٠؛ ابن عساكر، ٢٠٠٠م، ص ١٢٠٩؛ السلفي، ١٩٩٣م، ص ٤١٠؛ ابن نقطة، ١٩٨٤م، ج٢، ص ٢٩١؛ ابن نقطة، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٥٠؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ج١١، ص ٤٢٤؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣م، ج٢٠، ص ٢٢٠).

توفي هبة الله بن الأكفاني بعد حياة علمية وعملية حافلة في السادس من المحرم سنة أربع وعشرين وخمسمائة/ ٢٠ كانون الأول ١١٢٩م، عن عمر ناهز الثمانين عاماً، ودفن في مدينة دمشق (ابن القلانسي، ١٩٨٣م، ص ٣٦٠؛ ابن نقطة، ١٩٨٤م، ج٢، ص ٢٩١؛ الذهبي، ٢٠٠٣م، ج١١، ص ٤٢٤).

مؤلفاته:

ذكرت المصادر عدداً من المؤلفات التي قام هبة الله بن الأكفاني بتصنيفها، لكنها للأسف لم تذكر من مصنفاته التاريخية سوى ذيله على ذيل الكتاني لتاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ولعل الكتب التي ذكرتها المصادر له هي:

١- جامع الوفيات، وهو عبارة عن ذيل لكتاب شيخه الكتاني ذيل الوفيات، وقد وصلنا الكتاب، وحققه عبد الله الحمد، دار العاصمة، الرياض، ١٩٨٧م، ويشتمل على وفيات العلماء من سنة ٤٦٣- ٤٨٥هـ/١٠٧٠-١٠٩٢م، وهو تراجم لوفيات كل سنة.

٢- رجال الموطأ، والواضح أنه دراسة لأحوال الرواة الذين اعتمد عليهم مالك في كتابه الموطأ، وهو مفقود.

٣- تسمية من روى الموطأ عن مالك، وهو دراسة في رواة موطأ مالك عنه، وهو أيضاً في عداد المفقود اليوم.

٤- جزء فيه طرق اسمح يسمح لك، وهو في عداد المفقود.

٥- جزء فيه مجلس من حديث هبة الله بن الأكفاني، وهو مخطوط في المكتبة الظاهرية، دمشق.

٦- تتمة تاريخ داريا، وهو عبارة عن إضافات لهبة الله على كتاب تاريخ داريا للخولاني، وقد نشر بتحقيق سعيد الأفغاني بدمشق، ١٩٤٧م (السخاوي، ١٩٨٦م، ص ٢١٧، ٣١٥؛ حـــاجي خليفـــة، ١٩٨٠م، ج٢، ص ١٢٠٥؛ مصـــطفى، ١٩٨٧م، ٢، ص ٢٣٤؛ الدعجاني، ٢٠٠٤م، ج٣، ص ٢٢٤٨- ٢٢٤٩؛ المنجد، ٢٠٠٦م، ص ٣٤).

هذه هي الكتب التي أوردتها المصادر والدارسون المحدثون لهبة الله، ولم يذكروا له تصنيفه كتباً أخرى سوى ما أورده شاكر مصطفى عرضاً في أثناء حديثه عن كتبه، وفي ضمن حديثه عن كتابه جامع الوفيات إذ قال: "وينسب ابن العديم... كتاباً إلى ابن الأكفاني بعنوان "تعداد أمراء دمشق" ويبدو أنه غير كتاب الوفيات السابق" (مصطفى، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٢٣٤)، ولم أجد لهذا الاسم اصل عند ابن العديم ،وكلام الدعجاني الذي ذكر قائمة بكتب هبة الله بن الأكفاني، ولم يذكر بينها سوى السابق، لكنه في حديثه عن الروايات التي نقلها ابن عساكر عن هبة الله قال: "ومنها ٣٧ نصاً تتعلق بأمراء وقضاة دمشق" ولم يذكر أنها كتب لهبة الله (الدعجاني، ٢٠٠٤م، ج٣، ص ٢٢٤٩).

وبعد تدقيق النظر في نقول ابن عساكر عن هبة الله بن الأكفاني تبين وجود كتابين آخرين لهبة الله هما:

٧- تسمية قضاة دمشق، وهو عبارة عن كتاب يؤرخ لقضاة دمشق منذ فتحها على يد المسلمين، وحتى عصره، وذكره ابن عساكر في نقوله عن أخبار قضاة دمشق (ابن عســاكر، ١٩٩٥م، ج٢١، ص٤٧٦، ج٣٣، ص ٤٣٥، ج٣٦، ص ٢٣٤، ج٤٣، ص ٥٣٩).

٨- تسمية أمراء دمشق، وهو كتابنا الذي سنناقشه.

كتاب "تسمية أمراء دمشق":

لم تورد المصادر – كما ذكرنا سابقاً – والدراسات الحديثة كتاباً لهبة الله بن الأكفاني في أمراء دمشق، ولم يطلع على هذا الكتاب بحسب ما اطلعنا عليه سوى ابن عساكر، ويبدو أن تضمين ابن عساكر لكتاب ابن الأكفاني في كتابه تاريخ دمشق، مع ما حصل عليه تاريخ دمشق من شهرة واهتمام، جعل الاهتمام بكتاب ابن الأكفاني محدوداً، فلم يطلع عليه أحد من المؤرخين سوى ابن عساكر، لذلك لم يذكروا قيامه بتصنيف كتاب في أمراء دمشق،

ولما كانت ترجمة ابن الأكفاني من المفقودات من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، لذلك لم نجد أي ذكر للكتاب في المصادر.

اسم الكتاب:

لأن المصادر لم تذكر كتاباً في أمراء دمشق لابن الأكفاني، لم يرد اسم الكتاب عند أحد سواء من المصادر الإسلامي أو الدراسات الحديثة، ولهذا لا بد من تدقيق النظر في نقولات ابن عساكر عن الكتاب للوصول إلى الإسم الدقيق لكتاب ابن الأكفاني، مع الأخذ بالحسبان محدداً أساسياً، وهو أن ابن الأكفاني في كل مؤلفاته التاريخية ينسج على منوال المدرسة التاريخية الشامية، ويحتذي حذو مؤلفيها في مصنفاتهم، لهذا أكمل تاريخ داريا، وذيل على ذيل الكتاني الذي هو ذيل على كتاب ابن زبر الدمشقي تاريخ مولد العلماء ووفياتهم. وبعد التنقيب في التراث الشامي، وجدنا أن أبا الحسين الرازي صنف في مثل هذه الموضوعات، وكان اسم كتابه "تسمية أمراء دمشق"، ولما كان هبة الله قد تتلمذ على يد تمام بن أبي الحسين الرازي، واطلع من خلاله على مصنفات والده، فلا بد أنه تأثر به في تصنيفه لهذا الكتاب عنواناً، وموضوعاً (مصطفى، ١٩٨٧م، ص ٢٢٧).

إن النقول التي نقلها ابن عساكر من كتاب هبة الله جاء معظمها غفلاً من ذكر اسم الكتاب، واقتصر ابن عساكر على القول: "قرأت بخط شيخنا أبي محمد بن الأكفاني" أو "أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني"، ولم يذكر اسماً للكتاب سوى في ثلاث مرات، الأولى "قرأت بخط أبي محمد بن الأكفاني في تسمية أمراء دمشق"، والثانية والثالثة قال: "قرأت بخط أبي محمد بن الأكفاني في تسمية ولاة دمشق" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٨، ص ١٥٨، ج٢٠، ص ١٣٨، ج٤، ص ٤٣٥). فهل للكتاب أكثر من اسم أم أن الأمر تصرف من ابن عساكر في تسمية الكتاب، مع ملاحظة أن الاسمين ذكرا في تراجم أمراء دمشق في عهد الدولة الفاطمية.

إن التدقيق يلزم التمعن في الاسمين لترجيح أيهما أدق في اسم الكتاب، والشواهد التي تؤكد تسمية "أمراء" لا "ولاة" أن المدرسة الشامية في تجربتها استخدمت اسم "أمراء" لا "ولاة" كما ذكرنا آنفاً ، وكذلك كل ما قدمه ابن عساكر عن ابن الأكفاني عن أمراء دمشق يسبقه بكلمة الأمير، مما يرجح الاسم الأول أيضاً، فضلا عن أن الكتاب لم يقتصر على أمراء دمشق في العصر الفاطمي، بل شمل ما بعدهم، وبعضهم كانوا أمراء مستقلين، لا ولاة لدولة، وهذه الشواهد كلها ترجح أن اسم الكتاب هو "تسمية أمراء دمشق".

بقايا كتاب "تسمية أمراء دمشق" ومادته:

احتفظ ابن عساكر بالنقول الوحيدة عن كتاب "تسمية أمراء دمشق" لابن الأكفاني التي بلغت (٣٧) قطعة تتضمن أكثر من (٤٠) خبراً، لأن ابن عساكر كان ينقل عنه أحياناً

قطعة مجمعة من مجموعة من الأخبار، وهذه الأخبار هي كل ما بقي من كتاب "تسمية أمراء دمشق" لابن الأكفاني، فلم يطلع على الكتاب سوى ابن عساكر فيما استطعنا رصده من مصادر، وجاءت نقول ابن العديم عنه من خلال تاريخ دمشق لابن عساكر (ابن العديم، ٢٠١٦م، ج٥، ص ٣٩٧، ج٨، ص ١٩٥).

وقد صرح ابن عساكر باطلاعه على نسخة من الكتاب بخط هبة الله ابن الأكفاني، فقال في أكثر من موضع "قرأت بخط شيخنا أبي محمد بن الأكفاني" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٨)، ويبدو أن ابن عساكر كان انتقائياً في نقل المعلومات من كتاب "تسمية أمراء دمشق" إذ نقل عنه في تراجم، وأغفل النقل عنه في تراجم أخرى، من مثل ترجمة تتش بن ألب أرسلان (٤٧١-٤٨٧هـ/١٠٧٨-١٠٩٢م) ملك دمشق السلجوقي، فنقل ترجمته عن المؤرخ الحلبي ابن زريق (ت ٥٠٩هـ/١١١٥م)، بينما ذكره الأكفاني حكماً لأنه أشار في ترجمة أتسز بن أوق (ت ٥٧١هـ/١٠٧٨م) أنه قتل على يد تتش، وأنه ملك دمشق بعده، مما يعني أن ابن الأكفاني ذكره في كتابه لكن ابن عساكر لم ينقل عنه في ترجمة تتش، وربما فعل الأمر نفسه في بعض تراجم الولاة الفاطميين (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٧؛ عقلة، ٢٠١٤مب، ص ٤١- ٤٢). ولعل أهم بقايا كتاب "تسمية أمراء دمشق" لهبة الله بن الأكفاني، وموضوعاتها في ابن عساكر جاءت على النحو الآتي:

الرقم	الخبر	السنة التي أرخها للخبر	الترجمة	المصدر
١	خبر وفاة كافور الإخشيدي	٣٥٦هـ/٩٦٦م	كافور الإخشيدي	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٠، ص ٥-٦
٢	خبر وفاة سيف الدولة الحمداني	٣٥٦هـ/٩٦٦م	علي بن عبد الله الحمداني	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٤٣، ص ٢٤
٣	ولاية منجوتكين دمشق وتاريخ عزله	٣٨١-٣٨٧هـ/ ٩٩١-٩٩٧م	منجوتكين	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٦٠، ص ٢٧٨
٤	ولاية علي بن فلاح الأولى لدمشق	٣٨٧-٣٨٩هـ/ ٩٩٧-٩٩٩م	علي بن فلاح	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٤١، ص ٢٩٤
٥	ولاية جيش بن محمد بن حمصامة	٣٨٩-٣٩٠هـ/ ٩٩٩-١٠٠٠م	جيش بن محمد	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١١، ص ٣٤٦
٦	ولاية تميم بن إسماعيل الفحل	٣٩٠-٣٩٠هـ/ ١٠٠٢م	تميم بن إسماعيل الفحل	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١١، ص ٥١
٧	ولاية علي بن فلاح الثانية	٣٩٠-٣٩٢هـ/ ١٠٠٠-١٠٠٢م	علي بن فلاح	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٤١، ص ٢٩٤

٨	ولاية مفلح اللحياني على دمشق	٣٩٤-٣٩٨هـ/ ١٠٠٣-١٠٠٧م	ملفح اللحياني	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٦٠، ص ٩٨
٩	علي بن فلاح الولاية الثالثة	٣٩٨-٣٩٩هـ/ ١٠٠٧-١٠٠٨م	علي بن فلاح	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٤١، ص ٢٩٤
١٠	ولاية ختكين على دمشق	٣٩٩ من المحرم إلى رجب/ ١٠٠٨م	ختكين	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٦، ص ٣٢١
١١	ولاية حامد بن ملهم على دمشق	رجب ٣٩٩- ٤٠٠هـ/١٠٠٨- ١٠٠٩م	حامد بن ملهم	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٢، ص ١١
١٢	ولاية المطهر بن بزال على دمشق	٤٠٠هـ/١٠٠٩م لمدة أيام	المظهر بن بزال	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٨، ص ٣٦٣
١٣	ولاية المظفر المنيري على دمشق	٤٠٠-٤٠١هـ/ ١٠٠٩-١٠١٠م	المظفر المنيري	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٨، ص ٣٨١
١٤	ولاية بدر العطار على دمشق	٤٠١هـ/١٠١٠م	المظفر المنيري + لؤلؤ البشراوي	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٠، ص ٣٣٥، ج٥٨، ص ٣٨١
١٥	ولاية لؤلؤ البشراوي على دمشق	٤٠١هـ/١٠١٠م	لؤلؤ البشراوي	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٠، ص ٣٣٥
١٦	ولاية ذي القرنين بن حمدان على دمشق الولاية الأولى	٤٠١-٤٠٢هـ/ ١٠١٠-١٠١١م	ذو القرنين بن حمدان	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٧، ص ٣٦٢
١٧	ولاية محمد بن بزال على دمشق	٤٠٢-٤٠٦هـ/ ١٠١١-١٠١٥م	محمد بن بزال	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٢، ص ١٤٨
١٨	ولاية ساتكين سهم الدولة على دمشق	٤٠٦-٤٠٨هـ/ ١٠١٥-١٠١٧م	ساتكين	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٨
١٩	ولاية عبد الرحيم بن إلياس الفاطمي على دمشق	٤١٠-٤١١هـ/ ١٠١٩-١٠٢٠م	عبد الرحيم بن إلياس	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٣٦، ص ١٢٨
٢٠	ولاية ذي القرنين بن حمدان على دمشق الولاية الثانية	٤١٢-٤١٢هـ/ ١٠٢١م	ذو القرنين بن حمدان	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٧، ص ٣٦٢
٢١	ولاية سختكين على دمشق	٤١٢-٤١٤هـ/ ١٠٢١-١٠٢٣م	سختكين	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٤٧

٢٢	ولاية ذي القرنين بن حمدان على دمشق الولاية الثالثة وخبر وفاته	٤١٥-٤١٩هـ/ ١٠٢٤-١٠٢٨م ٤٢٨هـ/١٠٣٦م	ذو القرنين بن حمدان	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٧، ص ٣٦٢، ٣٦٤
٢٣	ولاية أنوجور الختني المعروف بالدزبري على دمشق	٤١٩-٤٣٣هـ/ ١٠٢٨-١٠٤١م	أنوجور الختني	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٩، ص ٣٩٠
٢٤	ولاية ناصر الدولة الحسن بن الحسين الحمداني على دمشق	٤٣٣-٤٤٠هـ/ ١٠٤١-١٠٤٨م	الحسن بن الحسين الحمداني	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٣، ص ٧٧؛ ابن العديم، ٢٠١٦م، ج٥، ص ٣٩٧
٢٥	ولاية طارق المستنصري على دمشق	٤٤٠-٤٤١هـ/ ١٠٤٨-١٠٤٩م	طارق المستنصري	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٤، ص ٤٣٥
٢٦	ولاية رفق المستنصري على دمشق	٤٤١-٤٤١هـ/ ١٠٤٩م	رفق المستنصري	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٨، ص ٥٨؛ ابن العديم، ٢٠١٦م، ج٨، ص ١٩٥
٢٧	ولاية المؤيد حيدرة بن الحسين بن مفلح على دمشق	٤٤١-٤٥٠هـ/ ١٠٤٩-١٠٥٨م	حيدرة بن الحسين	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٥، ص ٣٨٠
٢٨	ولاية الحسين بن حسن بن حمدان على دمشق	٤٥٠-٤٥٢هـ/ ١٠٥٨-١٠٦٠م	الحسين بن حسن بن حمدان	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٤، ص ٥١
٢٩	ولاية تمام الدولة سبكتكين بن عبد الله	٤٥٢-٤٥٣هـ/ ١٠٦٠-١٠٦١م	سبكتكين بن عبد الله	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٣٨
٣٠	وفاة تمام الدولة سبكتكين ومكان دفنه، وعمن روى الحديث النبوي	٤٥٣هـ/١٠٦١م	سبكتكين بن عبد الله	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٣٩
٣١	حديث رواه سبكتكين	–	سبكتكين بن عبد الله	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٣٨
٣٢	رفض سبكتكين الترضي على والديه من قبل العلماء لأنهما غير مسلمين	–	سبكتكين بن عبد الله	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٣٨
٣٣	ولاية حسام الدولة بن البجناكي على دمشق	٤٥٣هـ/١٠٦١م	ابن البجناكي	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٦٨، ص ١٩
٣٤	ولاية الحسين بن حسن بن حمدان على دمشق الولاية الثانية	٤٥٣هـ/١٠٦١م	ابن البجناكي	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٦٨، ص ١٩

٣٥	ولاية المؤيد حيدرة بن الحسين	٤٥٣-٤٥٥هـ/ ١٠٦١-١٠٦٣م	حيدرة بن الحسين بن مفلح	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٥، ص ٣٨٠
٣٦	ولاية حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منتز على دمشق	٤٦١-٤٦٧هـ/ ١٠٦٨-١٠٧٤م	معلى بن حيدرة بن منزو	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٩، ص ٣٧٥
٣٧	حصن الدولة معلى بن حيدرة وتنقله في مدن الشام بعد هربه من دمشق حتى مقتله	٤٦٧-٤٨١هـ/ ١٠٧٤-١٠٨٨م	معلى بن حيدرة بن منزو	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٩، ص ٣٧٥- ٣٧٦
٣٨	ولاية رزين الدولة انتصار بن يحيى على دمشق	٤٦٧-٤٦٨هـ/ ١٠٧٤-١٠٧٥م	انتصار بن يحيى	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٩، ص ٣١٠
٣٩	ولاية الملك أتسز بن أوق التركي على دمشق	٤٦٨-٤٧١هـ/ ١٠٧٥-١٠٧٨م	أتسز بن أوق	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٨
٤٠	الملك تتش بن ألب أرسلان السلجوقي وقتله لأتسز وملكه دمشق	٤٧١هـ/١٠٧٨م	أتسز بن أوق	ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٨

وبناء على الجدول السابق، نتبين أن مادة كتاب "تسمية أمراء دمشق" لابن الأكفاني اختصت بالأمراء الذين تعاقبوا على حكم دمشق من المدة الإخشيدية وحتى قيام دولة سلاجقة الشام على أقل تقدير، وبتدقيق الأخبار التي نقلها ابن عساكر عن الكتاب نجد أنها مركزة على أخبار أمراء دمشق، وأسباب عزلهم، ومصيرهم بعد العزل، وأن تلك النقول امتدت لأكثر من قرن من الزمن، وأن ترتيب الكتاب اتخذ طابع الموضوعات، إذ يتناول كل أمير من ولايته إلى عزله، فإذا تولى دمشق مرة أخرى تناوله في مكانه بالولاية الثانية.

النطاق الزمني والجغرافي للكتاب:

إن النقول الباقية من كتاب "تسمية أمراء دمشق" تدل على أن أول نقل كان في سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م، في حين كان آخر نقل مرتبطاً بمقتل أتسز بن أوق على يد تتش بن ألب أرسلان الذي حكم دمشق مكانه، ومن ثم يتبادر إلى الذهن أن هذا هو النطاق الزمني للكتاب، لكن مع إمعان النظر والتدقيق في النقول نتبين أن هذا التاريخ لا يمكن أن يكون بداية للكتاب، وذلك لأن كافور الإخشيدي الذي أورد وفاته هبة الله بن الأكفاني لم يكن آنذاك أميراً لدمشق، بل حاكماً للدولة الإخشيدية، ومقرها في مصر، فلا معنى لذكر ابن الأكفاني خبر وفاته في هذا الكتاب لأنه خارج عن موضوعه، إلّا إن ربطت القضية بمنهج ابن الأكفاني في تعامله مع أمراء دمشق، والمتمثل بذكر الولاية، ثم تتبع أخبار الوالي بعد عزله، وتأريخ وفاته، وهو ما سنناقشه تفصيلاً في موضوع منهجه، إذاً لا بد أن ذكر كافور

مرتبط بحدث في دمشق ،وهولذلك ذكر أيضا تاريخ وفاة سيف الدولة الحمداني ،ويبدو أنه أرخ لولاية كافور على دمشق سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، وهي السنة نفسها التي تولى فيها سيف الدولة دمشق تغلباً، مما دفع كافور للخروج إلى الشام، ومحاربة سيف الدولة، وبعد الانتصار عليه، وإعادة السيطرة على دمشق، تولاها كافور لمدة ثم عاد إلى مصر (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٤٣، ص ٢١- ٢٢)، لهذا السبب ذكر ابن الأكفاني وفاة كافور، ووفاة سيف الدولة، ومن ثم لدينا دليل على أن ابن الأكفاني بدأ كتابه على الأقل في سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، ولعل ما يعزز هذا التاريخ هو انتهاء كتاب "تسمية أمراء دمشق" لأبي الحسين الرازي بولاية الحسن بن طغج (ت ٣٤٢هـ/٩٥٣م) الثانية على دمشق، والتي انتهت بحدود سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م، مما يعني أنه _فيما يظهر_ أكمل تاريخ الرازي، ويبدو أنه عاد للحديث عن بعض القضايا مشتركاً بها مع الرازي، ولعل ما يعزز هذه المسألة أن ابن عساكر لم يذكر أي نقل عن ابن الأكفاني قبل هذا التاريخ (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٣، ص ١١٨).

أما نهاية الكتاب، فالنقول الواردة عنه كما هو موضح في الجدول السابق تنتهي في سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، ولا يمكن القطع أن هذه السنة آخر الكتاب، بل أرى أنه استمر في تأريخه لأمراء دمشق حتى طغتكين (ت ٥٢٢هـ/١١٢٨م) مؤسس الدولة البورية لأنه عاصر هذه المدة، والغريب أن ابن عساكر اعتمد في ترجمة تتش على غير ابن الأكفاني كما ذكرنا آنفاً، في حين لم يذكر أي مصدر لأمراء دمشق بعد تتش وحتى طغتكين، فربما نقل المادة من ابن الأكفاني من دون أن يصرح بذلك (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٤٦٧، ج١٧، ص ٣٠٤، ج١٨، ص ١٥٣، ج٢٥، ص ٣).

ونخلص مما سبق الى أن النطاق الزمني للكتاب يشمل السنوات من ٣٣٥-٧٤١هـ/٩٤٦-١٠٧٨م، أو بعدها لكن لا يمكن القطع بذلك إلّا بدليل موثق.

أما النطاق الجغرافي للكتاب، فهو دمشق لأنه معني بأمراء دمشق، وهذا يعني أنه يشمل كل المنطقة الإدارية التي تتبع لها، كما أنه شمل مناطق أخرى في إطار تتبعه لمصير أمراء دمشق، لكن مع ذلك لم تخرج جغرافية أحداثه عن مصر وبلاد الشام، مع تركيز كبير على أمراء دمشق، والبقية تأتي عرضاً بمناسبة الأحداث.

موارد هبة الله بن الأكفاني في كتابه تسمية أمراء دمشق

اعتمد ابن الأكفاني _بناء على ما تظهره بقايا كتابه_ على مجموعة من المصادر، لعل أهمها مشاهداته اذ كان حديثه عن الأمراء الذين عاصرهم على مشاهداته للأحداث، ومن هنا تكمن أهمية كتابه، ولا سيما أنه كان من كبار الشهود العدول من مكنه من الاطلاع على المعلومات من كبار رجالات دمشق، ومن ذلك قوله: "نزل الملك آتسز بن الخوارزمي

على دمشق محاصراً لها" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٨)، وقوله: "وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة خطب على منبر جامع دمشق _عَمَّره الله تعالى_ للخليفة الإمام المقتدي بأمر الله" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٩).

واعتمد ابن الأكفاني في الأحداث التي لم يعاصرها على شيوخه أو كتب مصنفة قبله، أو كتب الدولة الرسمية، ولعل أهم الكتب الرسمية التي اعتمد السجلات الرسمية المرتبطة بتولية الأمراء من مثل قوله: "وجاء كتاب السلطان بولاية ابن الفحل"، وقوله: "وصل السجل من مصر إلى الأمير أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة بن حمدان بولاية دمشق" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١١، ص ٥١، ج١٧، ص ٣٦٢).

واستند ابن الأكفاني في أخباره على مصادر سابقة له، ولعل أهم الكتب التي استند إليها:

أولاً- كتاب عبد الوهاب بن جعفر بن الميداني (ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م)، وهو كتاب لم يذكره أحد للأسف لا من القدماء ولا من المحدثين، ولم نستطع الوصول إلى اسم الكتاب، لكن يظهر أنه في أمراء دمشق، واعتمد عليه ابن الأكفاني في (١٣) خبراً تعود جميعها لما قبل سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وبذلك يكون مصدراً أساسياً لابن الأكفاني لهذه المدة، وجاءت النقول عنه: "قرأت بخط أبي محمد بن الأكفاني مما نقله من خط أبي الحسين بن الميداني"، و"قرأت بخط أبي محمد الأكفاني وذكر أنه نقله من خط أبي الحسين الميداني" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١١، ص ٣٤٦، ج١٢، ص ١١، ج١٧، ص ٣٦٢، ج٢٠، ص ١٨، ١٤٧، ج٣٦، ص ١٢٨، ج٤١، ص ٢٩٤، ج٥٠، ص ٣٣٥، ج٥٢، ص ١٤٨، ٣٨١، ج٦٠، ص ٩٨، ٢٧٨).

والظاهر أن كتاب ابن الميداني لم يكن متوافراً لدى ابن عساكر، وربما لم يعد موجوداً عندما شرع في تصنيف كتابه تاريخ دمشق، ولذلك اعتمد على كتاب ابن الأكفاني الذي اعتمد عليه، وهذا غريب جداً لأن ابن الأكفاني (ت ٥٢٤هـ/١١٢٩م)، وعبد الرحمن بن أحمد بن صابر السلمي (ت ٥١١هـ/١١١٧م) الذي صرح ابن عساكر باطلاعه على كتاب ابن الميداني قريبا عهد بعصر تأليف ابن عساكر لكتابه، وقد اعتمد ابن عساكر على عبد الرحمن بن أحمد بن صابر في نقل بعض الروايات من كتاب ابن الميداني (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٣٦، ص ١٢٧).

ثانياً- كتاب عبد العزيز بن أحمد الكتاني (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، وهو كتاب لم يذكره أحد من المؤرخين سواء القدماء أو المحدثين، ولم يتطرق أحد لقيام الكتاني بتصنيف كتاب في أمراء دمشق، ولكن طبيعة النقول التي نقلها ابن الأكفاني، وابن عساكر مباشرة عن الكتاني تدل دلالة قطعية على أنه صنف في أمراء دمشق كتاباً لم يصلنا للأسف، ولم تذكره

المصادر التي اعتنت بالترجمة له، وقد صرح ابن الأكفاني بالنقل عنه في ثلاثة مواضع، ويبدو أن قلة النقول عنه نابعة من اعتماده على مصادر أخرى لم يوردها ابن عساكر، أو أنه اعتمد عليه، ولم يصرح بذلك، وكانت النقول للسنوات ما بعد ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وكانت صيغ النقل عنه "حدثنا عبد العزيز الكتاني" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٣٧، ج٤٣، ص ٢٤، ج٥٠، ص ٥).

ما عدا هذه المصادر لا تعين النقول الباقية من كتاب "تسمية أمراء دمشق" في العثور على مصادر أخرى اعتمد عليها ابن الأكفاني، على الرغم من أن بعض أخباره التي نقلها عنه ابن عساكر من دون ذكر إسناده للخبر لم يعاصرها، بل وحدثت قبل ولادته، مما يعني ضرورة اعتماده على مصدر أو مصادر فيها، لكن جاءت النقول غفلاً من ذكر تلك المصادر (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٧، ص ٣٦٤، ج١٧، ص ١٥٨، ج٢٤، ص ٤٣٥).

منهج ابن الأكفاني في كتابه

اعتمد ابن الأكفاني منهجاً موضوعياً قائماً على تنظيم أحداثه ضمن موضوع محدد هو إمارة دمشق، إذ يقوم بتناول إمارة الأمير على دمشق من بدايتها إلى نهايتها، ثم يتناول الأمير الذي جاء بعده حتى نهاية الكتاب، وإذا تولى الأمير دمشق أكثر من مرة، أفرد لكل إمارة عنواناً خاصاً، ورتب الأمراء ترتيباً زمنياً حولياً على السنوات، بحيث يتناول إمارة الأمير الأقدم ثم الأحدث، ومن ثم فإنه قام بعمل مزاوجة بين المنهج الموضوعي والمنهج الحولي، وهذا الأمر ليس غريباً في التراث الإسلامي عموماً، والدمشقي خصوصاً، إذ سبقه به المؤرخ الدمشقي أبو الحسين الرازي، وكذلك الكندي صاحب كتاب ولاة مصر (مصطفى، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٧٧).

ولعل الدليل الأبرز على اتخاذه موضوع الإمارة أساساً لترتيب كتابه، هو ما قاله ابن عساكر في ترجمته لأمير دمشق المؤيد حيدرة بن الحسين بن مفلح "قرأت تاريخ ولايته في المرتين بخط شيخنا أبي محمد بن الأكفاني" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٥، ص ٣٨٠) مما يؤكد أن ابن الأكفاني تناول كل إمارة له منفصلة حسب ترتيبها الزمني في كتابه.

والتزم هبة الله بن الأكفاني في تاريخه بذكر السنة التي تولى بها الأمير الإمارة، وكذلك ذكر الشهر من السنة، وذكر اليوم من الشهر، وذكر اسم اليوم من الأسبوع، ووقت الولاية من اليوم صباحاً أو ظهراً أو مساءً، وجاء هذا الالتزام صارماً جداً عنده، بحيث التزم به في كل كتابه، ولعل هذا ناجم عن تأثير ثقافته الحديثية المعتنية بالزمن لمعرفة اتصال السند ،إذ يشترط تعاصر الشيخ وتلميذه، وهذا لا يتأتى إلّا بمعرفة تاريخ مولدهم ووفاتهم بدقة، فضلا عن تأثره بمنهج المدرسة التاريخية الدمشقية بهذا الأمر سواء شيخه الكتاني، أو الميداني، أو الرازي، وقد ذكرناهم سابقاً.

ومن الأمثلة الدالة على منهجه هذا الملتزم بإيراد الزمن بشكل دقيق لأحداثه قوله: "جاء كتاب السلطان بولاية ابن الفحل في موضع جيش يوم السبت لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة"، وقوله: "الأمير أبو علي حسين بن حسن بن حمدان وصل إلى دمشق والياً عليها يوم الاثنين النصف من رجب سنة خمسين وأربعمائة، وسار من دمشق متوجهاً إلى حلب الظهر من يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة" ،وقوله: "ووصل إلى دمشق آخر نهار يوم الخميس الثاني عشر من المحرم من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١١، ص ٣٤٦، ج١٤، ص ٥١، ج١٨، ص ١٥٨).

ونهج ابن الأكفاني في كتابه منهجاً ملتزماً بذكر أنساب الأمراء، وألقابهم، وكناهم، والأمثلة على هذا النهج كثيرة بل هي واردة في كل النقول الباقية عنه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر "رزين الدولة انتصار ابن يحيى المصمودي" و"القائد أبو صالح مفلح اللحياني" و"حصن الدولة أبو الحسن مُعَلى بن حيدرة بن منزو بن النعمان الكتاني" و"وقدم ولي عهد المسلمين عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدي" و"الأمير بهاء الدولة وصارمها طارق الصقلبي المستنصري" و"نزل الملك آتسز بن الخوارزمي" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٩، ص ٣١٠، ج٦٠، ص ٩٨، ج٥٩، ص ٣٧٥، ج٣٦، ص ١٢٨، ج٢٤، ص ٤٣٥، ج٧، ص ٣٤٨).

واهتم ابن الأكفاني في تناوله لموضوعاته تأثراً بثقافته الدينية والأدبية بإيراد الأحاديث التي رواها الأمراء، وعلومهم، لذلك نجده في ترجمة سَبكْتِكين بن عبدالله التركي يقول: "روى عن الحسن بن محمد بن جُمَيع، روى عنه العزيز الكتاني، وأبو عبدالله بن المنزل، وعلي بن طاهر"، ثم ذكر حديثاً رواه، كما روى أنه أثناء قراءة عبد العزيز الكتاني عليه، "قال له: رضي الله عنك وعن والديك، فقال: لا تقل ذلك، فإن والديّ كانا كافرين"، كما ذكر في ترجمته للأمير ذي القرنين بن حمدان أنه كان شاعراً (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٣٧- ١٣٨، ج١٧، ص ٣٦٢).

وحاول هبة الله بن الأكفاني في إطار تناوله لإمارة كل أمير متابعة تطور أوضاعه بعد عزله من إمارة دمشق بحسب ما توضحه النقول الباقية من الكتاب، إذ يذكر ما حدث مع الأمير، وخصوصاً وفاته إن تمكن من رصدها، وضمن هذا الإطار تحدث عن مصير عبد الرحيم بن إلياس الفاطمي، ولي العهد وأمير دمشق حيث ذكر أنه اعتقل بعد عزله من إمارة دمشق، ونقل إلى القاهرة، واعتقل بها بحجرة إلى أن قتل نفسه بسكين، وأنه أكد قبل وفاته للقضاة والشهود أنه هو من قتل نفسه (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٣٦، ص ١٢٩)، وكذلك

ذكره وفاة كافور الإخشيدي، وسيف الدولة الحمداني، وذكر أن تابوت سيف الدولة نقل إلى ميافارقين، ودفن بها (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٠، ص ٥- ٦، ج٤٣، ص ٢٤).

وكذلك مُعلى بن حيدرة الكتامي بعد انتهاء إمارته على دمشق حيث قال: "مُعلى بن حيدرة بن منزو، ولي دمشق قهراً وغلبة من غير تقليد في يوم الخميس الثامن من شوال سنة إحدى وستين وأربعمائة، وذكر أنه وصله بعد ذلك التقليد، وهرب من دمشق في يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة من سنة سبع وستين وأربعمائة إلى بانياس، فأقام فيها إلى أول سنة اثنتين وسبعين، وخرج منها لما خرج العسكر المصري، وجعل بصور وخيف عليه فيها، وسار إلى طرابلس، ومنها إلى مصر، وقتل بمصر في شهور سنة إحدى وثمانين وأربعمائة" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٩، ص ٣٧٥- ٣٧٦). وعلى الرغم من أن تصرف ابن عساكر بالنص اختصاراً واضح، وفي النص ما يدل عليه حيث يقول: "وذكر أنه" وهو كلام ابن عساكر يختصر به تفاصيل إمارة مُعلى على دمشق، إلّا أن النص يوضح رغم ذلك على أن ابن الأكفاني يتابع مصير الأمير حتى وفاته.

وحرص ابن الأكفاني في كتابه على تحديد دقيق لبداية إمارة كل أمير ونهايتها، فضلا عن تحديد مدة إمارته بالسنوات والأشهر والأيام، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عن إمارة أتسز "وكانت مدة ولاية أتسز ثلاث سنين وستة أشهر وأحد وعشرون يوماً، وقتل لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة"، وقوله عن ولاية سبكتكين "فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً" وكذلك حديثه عن ولاية سختكين "وقدم الأمير سختكين الملكي شهاب الدولة يوم الثلاثاء لسبع خلون من رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة... ومات في قصر السلطان ليلة الجمعة لعشر ليالٍ خلت من ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة، فجميع ما أقام سنتان وأربعة أشهر ويومان" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٩، ج٢٠، ص ١٣٩، ١٤٧).

والتزم ابن الأكفاني في إطار منهجه بإيراد مصدره للروايات _كما بينا في موارده_ وكان يذكر روايات متعددة للخبر الذي يتناوله، وإن كانت النقول الباقية من الكتاب لا تعين في هذه المسألة كثيراً غير أنّ بعض الإشارات تدل على هذه المسألة من مثل قول ابن عساكر عن وفاة ذي القرنين بن حمدان "قال: أنا أبو محمد بن الأكفاني: توفي الأمير وجيه الدولة ذو القرنين... في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة... وذكر ابن الأكفاني في موضع آخر: أنه مات بمصر" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٧، ص ٣٦٤).

حاول هبة الله ذكر رسوم تولية الأمراء دمشق، ورسوم التهنئة لهم، ومقر حكمهم لدمشق، وحاول توضيح بعض التراتيب الإدارية للإمارة، والواقع أنّ نقول ابن عساكر الانتقائية من كتاب تسمية أمراء دمشق، وتصرفه اختصاراً في كثير منها لتوافق منهجه الذي

رسمه في كتابه تاريخ دمشق أفقدتنا الكثير من المعلومات التي تضمنها كتاب ابن الأكفاني، لكن الباقي منها يدل على اهتماماته ومنهجه.

ومن الأمثلة التي أوردها ابن الأكفاني عن رسوم التولية والتهنئة، والتراتيب الإدارية قوله عن إمارة تميم ابن إسماعيل الفحل: "فركب وجلس في القصر وهنأه الناس بالولاية"، وقال عن إمارة ختكين: "وجاءت الولاية من مصر لختكين: ولاية البلد والغوطتين والشرطة"، ويقول عن إمارة ذي القرنين بن حمدان: "وصل السجل من مصر إلى الأمير أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة بن حمدان بولاية دمشق وتدبير العساكر، وخلع عليه وقرأ الشريف القاضي الحسيني النصيبي السجل"، وقوله عن إمارة ساتكين: "وعزل بدر العطار عن الغوطتين والشرطة" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١١، ص ٥١، ج١٦، ص ٣٢١، ج١٧، ص ٣٦٢، ج٢٠، ص ١٨).

وقام ابن الأكفاني بتقييد الأسماء المشتبهة خشية تصحيفها، كما انتبه لفكرة الأوليات والنهايات للدول المتعاقبة على حكم دمشق، ومن الأمثلة على ذلك ما نقله ابن عساكر عن الأمير ساتكين ،إذ قال: "وقيده ابن الأكفاني بالسين" مما يدل على أن ابن الأكفاني كان ينص على تقييد أسماء الامراءخشية وقوع التصحيف بها، وكذلك قوله عن إمارة أتسز: "وكان آخر ما دعي للمصريين يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة من سنة ثمان وستين وأربعمائة" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٢٠، ص ١٨، ج٧، ص ٣٤٩).

حاول ابن الأكفاني تعليل حوادثه حيث كان يحاول إبراز أسباب عزل الأمير، أو أسباب حدوث حادثة معينة، ولعل من الأمثلة على ذلك تعليله لقيام أتسز الخوارزمي بنهب القدس ينة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م بقوله: "وذكر شيخنا أبو محمد الأكفاني أن كسرة أتسز بن أوق بديار مصر كانت سنة تسع وستين، وأنه لما نزل عاد وجمع وطلع إلى القدس ففتحها، وقتل بها ذلك العالم العظيم" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٧، ص ٢١٣)، والغريب أن ابن عساكر ذكر هذه المعلومة في ترجمته لعالم قتل في القدس، ولم يذكرها في ترجمة أتسز، مما يؤكد أنّ ابن عساكر كان انتقائياً جداً، ومختصراً لما أورده ابن الأكفاني عن الأمراء، ويبدو أن عبارة هبة الله أكبر مما أورد ابن عساكر، وعلى الرغم من اختصارها إلا أنّ ابن الأكفاني علل هجوم أتسز على القدس بهزيمته بمصر.

وكذلك علل هبة الله عزل أنوشتكين الدزبري عن إمارة دمشق بتمرد القوات الفاطمية في المدينة عليه، وكذلك تمرد أهل دمشق معهم، مما أجبره على الهرب منها إلى حلب، لذلك عزل عن إمارة المدينة (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ح٩، ص ٣٩٠). وأيضاً ذكر أن سبب عزل الأمير ناصر الدولة الحسين بن الحسن بن حمدان عن إمارة دمشق هزيمته العسكرية سنة

٤٥٢هـ/١٠٦٠م في معركة الفنيدق في أثناء حملته على حلب، مما أجبره على الفرار لمصر، ومن ثم عزل (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١٤، ص ٥١).

واهتم ابن الأكفاني بالأوضاع الاقتصادية في دمشق، ولا سيما التدهور في تلك الأوضاع، ومظاهر التدهور، وبين أسباب ذلك التدهور، فوصف التدهور الاقتصادي لدمشق منذ سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م بسبب الصراع بين القادة الفاطميين، وظلم الأمراء، ثم الغارات التي شنها أتسز بن أوق عليها، وقيامها بحصارها أكثر من مرة حتى تمكن من الاستيلاء عليها سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، فقال عن ولاية مُعلى بن حيدرة: "فأساء السيرة في أهلها، وأطلق يده في المصادرات، وأخذ أموالهم، وبسط العقوبة عليهم... إلى أن خربت أعمال البلد، وانجلى (هاجر) كثير من أهله" ،وقال عن أثر حصار أتسز لدمشق: "ولم يزل محاصراً لها وغلت الأسعار، ولم يقدر على شيء من الأقوات، وبلغت غرارة الحنطة زائداً عن عشرين ديناراً" (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٥٩، ص ٣٧٥، ج٧، ص ٣٤٨- ٣٤٩).

وقام ابن الأكفاني بتحديد جغرافية أحداثه بشكل دقيق بحسب ما تتيحه البقايا الناجية من كتابه تسمية أمراء دمشق، اذ حدد قصر الأمراء الذي يديرون منه إمارة دمشق (قصر الإمارة) فقد ذكره أكثر من مرة، وحدد أنه موجود داخل باب الفراديس في دمشق، وكان حريصاً على تحديد مكان المعارك مثل الفنيدق ،اذ ذكر أنها تقع بظاهر حلب، مثلما ذكر بقية حوادثه ذاكراً جغرافية الأحداث التي يذكرها (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٧، ص ٣٤٩، ج١٤، ص ٥١).

إن هذه هي المعالم الأساسية لمنهج ابن الأكفاني، ومادته التي تناولها في كتابه، وذلك بحسب ما تتيحه النقول الباقية من كتابه، على الرغم من قناعتنا بأن ابن عساكر اختصر كثيراً من مادته، واعتمد عليها في بعض الأخبار من دون ذكره من الفقهاء والمحدثين المؤرخين (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج١١، ص ٥١).

ولا شك أن ابن عساكر تصرف بنص ابن الأكفاني اختصاراً، وحذفاً لبعض العبارات لتنسجم مع رؤيته الداعمة للخلافة العباسية، والمعادية تماماً للفاطميين، لهذا لا نستطيع الجزم بأن تسمية الخلافة الفاطمية "بالمصريين" كما جاء في بعض بقايا كتاب تسمية أمراء دمشق، هل هي من ابن الاكفاني أو من تغييرات ابن عساكر، ولكن الذي يؤيد أنها ليست عبارة ابن الاكفاني أنه عند ذكر عبد الرحيم بن إلياس قال عنه: ولي عهد المسلمين، وذكر نسبه إلى المهدي الفاطمي لتظهر قبل المهدي عبارة "المعروف بالمهدي"، وأظنها مقتحمة من ابن عساكر على نص ابن الأكفاني، ومن ثم هو لا ينظر لهم إلّا أنهم خلافة فاطمية شرعية، فلما جاء السلاجقة لحكم دمشق باسم الخلافة العباسية اعترف بها أيضاً انسجاماً مع مذهبه (ابن عساكر، ١٩٩٥م، ج٣٦، ص ١٢٨- ١٢٩).

النتائج

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج الأساسية، لعل أبرزها:

أولاً- يعد ابن الأكفاني من المؤرخين الدمشقيين القلائل الذين صنفوا في أمراء دمشق في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، والمؤرخين الذين عاصروا مدة مهمة من أواخر الدولة الفاطمية وبدايات الدولة السلجوقية في دمشق.

ثانياً- توصلت الدراسة إلى أن ابن الأكفاني صنف كتاباً في تاريخ أمراء دمشق وهو "تسمية أمراء دمشق"، وأنه شمل المدة من ٣٣٥-٤٧١هـ/٩٤٦-١٠٧٨م، وهي مدة عاصر جزءاً منها واعتمد فيما لم يعاصر على مجموعة من المصادر الدمشقية المفقودة، فحفظ لنا بذلك بعض روايات تلك الكتب.

ثالثاً- تنبع أهمية كتاب ابن الأكفاني من معاصرته لكثير من الأحداث التي دوّنها، لذلك يعد كتابه أقرب إلى انطباعات يومية كتبها عالم دمشقي مشاهد للأحداث، ومشارك في بعضها كونه أحد رجال الإدارة الدينية في دمشق، واطلع بذلك على بعض وثائق الدولة، وبعض أسرارها، ونقل تلك المعلومات في كتابه.

رابعاً- لم يتعرض لذكر كتاب ابن الأكفاني أحد من المؤرخين القدماء والمحدثين، كما لم يطلع على الكتاب بعد الاستقصاء أي مؤرخ سوى ابن عساكر الذي حفظ لنا نقولاً مهمة عن الكتاب مكنتنا من دراسته لمعرفة جوانبه المختلفة.

خامساً- اعتمد ابن الأكفاني على مجموعة من وثائق الدولة الفاطمية في إطار تسجيله لأخبار الأمراء الفاطميين، كما اعتمد على شهود عيان موثوقين لتدوين الحوادث التي لم يشاهدها.

سادساً- اعتمد ابن الأكفاني منهجاً في تصنيف كتابه مزاوجاً بين المنهج الموضوعي والمنهج الحولي ،فقد رتب كتابه على موضوع الإمارة ثم رتب الأمراء على نظام حولي بحسب تواريخ توليهم الإمارة في دمشق، كما رتب أحداث الإمارة على السنين، فضلا عن الشهر داخل السنة، واليوم داخل الشهر.

سابعاً- كانت ميول ابن الأكفاني معتدلة تجاه حوادثه بحيث تناولها بقدر مقبول من الحياد بعكس ما كان سائداً في عصره، وما بعده من عداءٍ مطلق للدولة الفاطمية، مع ميول مؤيدة للخلافة العباسية، لا سيما بتأثير شافعيته وسيطرة العباسيين على الشام بعد انتهاء سيطرة الدولة الفاطمية عليها.

ثامناً- حفظ لنا كتاب تسمية أمراء دمشق الكثير من المعالم العمرانية لدمشق في العصر الفاطمي، وأسماء الأمراء الفاطميين في دمشق، وأعمالهم فيها، إضافة لحفظ الكثير من التراتيب والرسوم الفاطمية في كتابه، وكذلك حفظ لنا الكثير من سير أولئك الأمراء، وألقابهم.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

١- ابن الأكفاني، هبة الله بن احمد (١٩٨٧م)، *نيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم*، تحقيق عبد الله الحمد، دار العاصمة، الرياض

٢- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٩٩٥)، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت

٣- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (١٩٨٠م)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٤- ابن حجر، أحمد بن علي (١٩٩٢م)، *المعجم المؤسس للمعجم المفهرس*، تحقيق يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.

٥- الدعجاني، طلال بن سعود (٢٠٠٤م)، *موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق*، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٦- الذهبي، محمد بن أحمد (١٩٩٦م)، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧- الذهبي، محمد بن أحمد (٢٠٠٣م)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٨- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي (٢٠١٣م)، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق إبراهيم الزيبق وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق.

٩- السبكي، عبد الوهاب (١٩٨٦)، *مبيد النقم ومعيد النعم*، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

١٠- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (١٩٨٦م)، *الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ*، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١١- السلفي، أحمد بن محمد (١٩٩٣م)، معجم *السفر*، تحقيق عبد الله البارودي، دار الفكر، بيروت.

١٢- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (٢٠١٦م)، *بغية الطلب في تاريخ حلب*، تحقيق المهدي الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

١٣- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (١٩٩٥م)، *تاريخ مدينة دمشق*، تحقيق عمر بن عرامة العمروي، دار الفكر، بيروت.

١٤- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (٢٠٠٠م)، معجم *الشيوخ*، تحقيق وفاء تقي الدين، دار البشائر، دمشق.

١٥- عقلة، عصام (٢٠١٤م)، *أبو محمد عبد المنعم بن علي الشهير بابن النحوي (ت بعد ٤١٦هـ/١٠٢٥م) وكتابه في التاريخ*، المجلة الأردنية للتاريخ والاثار، وزارة التعليم العالي، عمان، العدد الثاني، المجلد الثامن، ص١-٢٧

١٦- عقلة، عصام (٢٠١٤م ب)، *المؤرخ أبو المحاسن يحيى بن علي الشهير بابن زريق (٤٤٢-٥٠٩هـ/١٠٥١-١١١٥م) وكتابه في التاريخ*، دراسة في النصوص التاريخية الشامية الأولى المعاصرة للحملة الفرنجية الصليبية الأولى (٤٩٠-٤٩٢هـ/١٠٩٧-١٠٩٩م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، وزارة التعليم العالي، عمان، العدد الثاني، المجلد الثامن، ص٢٨-٥٠.

١٧- ابن القلانسي، حمزة بن أسد (١٩٨٣م)، *تاريخ دمشق*، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق.

١٨- الكتاني، عبد العزيز بن أحمد (١٩٨٧م)، *ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم*، تحقيق عبد الله الحمد، دار العاصمة، الرياض.

١٩- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (١٩٩٦م)، *الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث*، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٠- محاسنة، محمد (٢٠٠١م)، *تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي*، الأوائللنشر، دمشق.

٢١- مصطفى، شاكر (١٩٨٧م)، *التاريخ العربي والمؤرخون*، دارالعلم للملاين، بيروت.

٢٢- المنجد، صلاح (٢٠٠٦م)، *معجم المؤرخين الدمشقيين*، دار الكتاب الجديد، بيروت.

٢٣- ابن نقطة، محمد بن عبد الغني (١٩٨٤م)، *كتاب التقييد لمعرفة رواة الأسانيد*، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن.

٢٤- ابن نقطة، محمد بن عبد الغني (١٩٨٧م)، *تكملة الإكمال*، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

References:

1. Al-Daajani, Talal bin Saud (2004), *Mawarid Ibn Asaker in the History of Damascus*, the Islamic University, Medina.
2. Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed (1996), *Biographers of the flags of nobles*, investigation: Shoaib Al-Arnaout, Al-Resala Foundation, Beirut.
3. Al-Dhahabi, Muhammad bin Ahmed (2003), *History of Islam and the deaths of celebrities and media*, investigation by Bashar AwadMaarouf, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.
4. Al-Kettani, Abdulaziz bin Ahmed (1987), *The Tail of the birth and death of scientists*, investigation by Abdullah Al-Hamad, Dar Al-Asimah, Riyadh.
5. Al-Munajjid, Salah (2006), *A Dictionary of Damascene Historians*, The New Book House, Beirut.
6. Al-Sakhawi, Muhammad bin Abdul Rahman (1986), *Reprimanding those who insulted the people of history*, Franz Rosenthal investigation, translation: Salih Ahmed Al-Ali, Al-Resala Foundation, Beirut.
7. Al-Salafi, Ahmed bin Mohammed (1993), *A Dictionary of Travel*, Investigation by Abdullah Al-Baroudi, Dar Al-Fikr, Beirut.
8. Al-Sibki, Abudel Wahab (1986), *Mobid al- Nekam wa Mueid al-Neaim*, Muasasit al Kitb al-Thakafiai, Beirut.

9. Cahen, Claude (1940), La *Syrien Du Nord*, InstitutFrançaise de Damas, Paris.
10. Haji Khalifa, Mustafa bin Abdullah (1980), *Revealing misgivings about the names of books and arts*, Arab Heritage Revival House, Beirut
11. Ibn Al-Adim, Kamal Al-Din Omar bin Ahmad bin AbiJarada (2016), *With a view to demanding in the history of Aleppo*, the investigation of the Al-Mahdi Al-Rawadiyah, Al-Furqan Islamic Heritage Foundation, London.
12. Ibn Al-Akfani, Hibatullah bin Ahmed (1987), *Tail end of the history of the birth and death of scholars*, investigation by Abdullah Al-Hamad, Dar Al-Asimah, Riyadh
13. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali (1995), *Al-Mu'tazim in the History of Kings and Nations*, investigation: Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, House of Scientific Books, Beirut.
14. Ibn Al-Qalansi, Hamza Bin Asad (1983), *History of Damascus*, Suhail Zakar Investigation, Dar Al-Fikr, Damascus 1
15. Ibn Asaker, Abu Al-Qasim Ali bin Al-Hussein (1995), *History of the City of Damascus*, Investigation of Omar Bin Al-Amrawi, Dar Al-Fikr, Beirut.
16. Ibn Asaker, Abu al-Qasim Ali bin al-Hussein (2000), *Glossary of Sheikhs*, Achievement of Wafa Taqial-Din, Dar Al-Bashaer, Damascus
17. Ibn Hajar, Ahmad bin Ali (1992), *Founding lexicon for indexed lexical investigation*, Joseph Al-Marashly, Dar Al-Marefa, Beirut.
18. Ibn Katheer, Imad Al-Din Ismail bin Omar (1996), *Al-Baith Al-Hithith, Explanation of the Abbreviation of Hadith Sciences*, Investigation by Ahmed Muhammad Shaker, Al-Maaref Library, Riyadh
19. Ibn Naqta, Muhammad bin Abdul Ghani (1984), The Book of Restraint to Know Narrators of Asanid, Ottoman Encyclopedia, Hyderabad Deccan.
20. Ibn Naqta, Muhammad ibn Abd al-Ghani (1987), *Completion of Completion*, investigation by Abd al-Qayyum Abd Rabb Al-Nabi, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.
21. Mahasn, Muhammad (2001), *History of the City of Damascus during the Fatimid Rule*, the First for Publishing, Damascus.
22. Mustafa, Shaker (1987), *Arab History and Historians*, Dar Al-Alam Mumline, Beirut.
23. Okleh, Issam (2014), *Abu Muhammad Abdul-Moneim bin Ali, famously Ibn al-Nahwi (d. After 416 AH / 1025 CE) and his book on History*, The Jordanian Journal of History and Archeology, Ministry of Higher Education, Amman, Second Issue, Volume 8, pp. 1-27
24. Okleh, Issam (2014), *The Historian Abu Al-Mahasin Yahya bin Ali, famously Ibn Zureik (442-509 AH / 1051-1115AD) and his book on*

history, a study of the first contemporary Maasin Levantine texts of the First Frankish Crusade (490-492AH / 1097-1099 AD), Jordanian Journal of History and Archeology, Ministry of Higher Education, Amman, Number Two, Volume VIII, pp. 28-50.

25. Qabila Ibn al-Jawzi, Yusef bin Qazoglu (2013), *A Mirror of time in the dates of notables*, investigation by Ibrahim al-Zibak and others, Dar Al-Resala International, Damascus.